

هو العليم

مطابقة القصاص في التوراة و الإنجيل لحكم القرآن

بحث منتخب من «نور ملكوت القرآن»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ حكم القصاص و الثناء على العفو الواردين في القرآن الكريم، هما بعينهما حكم القصاص و العفو اللذان نزلوا في شريعة موسى في التوراة، و في شريعة عيسى في الإنجيل على نبينا و آله و عليها الصلاة و السلام، ثم احكما و اقرا في القرآن الكريم.

أما في التوراة، فيقول الله سبحانه:

{إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا

النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبَارُ

بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا

تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوُا اللَّهَ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ

مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ●

وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ

الْأَنْفِ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^١.

ما نراه في الآيتين هو: أن حكم القصاص حقّ
للمجنى عليه، و العفو -الذي هو أمر مقبول- قد وُضِعَ
في اختياره. و قد ورد هذا المطلب بعينه في التوراة
المتداولة حالياً، حيث جاء في الإصحاح الحادي و
العشرين من سفر الخروج من التوراة أنه:

(١٢) مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلًا.

(١٣) وَلَكِنَّ الَّذِي لَمْ يَتَعَمَّدْ، بَلْ أَوْقَعَ اللَّهُ فِي يَدِهِ، فَأَنَا
أَجْعَلُ لَهُ مَكَانًا يَهْرَبُ إِلَيْهِ.

(٢٣) وَإِنْ حَصَلَتْ أَذِيَةٌ تَعْطِي نَفْسًا بِنَفْسٍ، وَ عَيْنًا
بِعَيْنٍ، وَ سِنًّا بِسِنٍّ، وَ يَدًا بِيَدٍ، وَ رِجْلًا بِرِجْلٍ، وَ كِيًّا بِكِيٍّ، وَ
جِرْحًا بِجِرْحٍ، وَ رَضًّا بِرَضٍّ.

و جاء في الإصحاح الرابع و العشرين من سفر
اللاويين أنه:

^١ الآيتان ٤٤ و ٤٥، من السورة ٥: المائدة.

وإذا أمتَ أحدٌ إنساناً فإنه يُقتل، و من أمتَ بهيمةً
فإنه يعوّض عنها نفساً بنفس، وإذا أحدث إنسانٌ في قرينه
عيباً، فكما فعل كذلك يُفعل به، كسرٌّ بكسر، و عينٌ بعين،
و سنٌّ بسنٍّ، كما أحدث عيباً في الإنسان كذلك يُحدث
فيه. ١

و أما في الإنجيل فلأنَّ الله عزَّ وجلَّ بعد الآيات
السابقة يقول:

{وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ
و مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ
مَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}. ٢

و نرى في هذه الآية أنَّ الله سبحانه جعل عيسى
مصدقاً للتوراة وجعل كتابه الإنجيل أيضاً مصدقاً لها،

١ طبقاً لنقل العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه في «الميزان» ج ٥، ص ٣٩١
و ٣٩٢ عن التوراة باللغة العربية المطبوعة في كمروج سنة ١٩٣٥ م.

٢ الآيتان ٤٦ و ٤٧، من السورة ٥: المائدة.

ويلاحظ أنّ جملة {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ} -
التي تكرّرت مرّتين - لم تكن تأكيداً، بل أفادت تصديق
الإنجيل للتوراة إضافة إلى تصديق المسيح لها.

لذا، فكتاب الإنجيل تابع لشريعة كتاب التوراة، ولم
يأت حكم في التوراة إلا وقد أمضاه الإنجيل و دعا الناس
إليه، عدا بعض محرّمات التوراة التي أحلّها المسيح، كما
نطق الله سبحانه بلسانه: {وَأَجَلٌ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي
حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}¹.

و بناءً هذا، فحكم القصاص و العفو من وجهة نظر
السيد المسيح و تعاليم الإنجيل هو نفسه عند موسى و
كتاب شريعته: التوراة.

و أمّا في القرآن الكريم، فلأنّ الله سبحانه يقول بعد
هذه الآية:

¹ الآية ٥٠: من السورة ٣ آل عمران. وَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ
لَأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا
اللّهَ وَ أَطِيعُون.

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا
 مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
 وَاحِدَةً وَ لَكِن لَيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
 الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
 فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا
 تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ اخذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل
 الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم
 ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون} ١

و ما بحثناه هنا في حكم القصاص و العفو، طبقاً
 لدلالة هذه الآيات المباركة، فإن شرائع النبي محمد و
 المسيح و موسى عليهم الصلاة و السلام تتطابق و تتفق
 بشأنه، و أن ما يشاهد في الإنجيل المتداول حالياً أن «إذا
 صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، و إذا
 أرادوا انتزاع عباةك فهب لهم معها ثوبك»!

١ الآيتان ٤٨ و ٤٩، من السورة ٥: المائدة.

إمّا أن تكون عبارات مُختلفة نُسبت للمسيح عليه السلام، أو أنّه عليه السلام أراد أن يمتدح العفو و المسامحة و يثني عليهما، و أن يؤكّد على إعمال صفة الإغضاء وكرم الأخلاق، و أن يُشير في الناس بشكلٍ مبالغٍ فيه مشاعر العفو و المسامحة بعد فرض قانون القصاص و صيرورته بين الناس في حكم المسلّم، و إلّا فإنّ إجبار الناس على هذا الأسلوب من العفو سيؤدّي لا إلى تعطيل قانون القصاص و عدم الاهتمام بأمر العفو فحسب، بل ستصل رغبة المسيحيّين في الانتقام و إذلال الآخرين بقسوة و عدوانيتهم و تعطّشهم لسفك الدماء إلى الحدّ الذي برزت نماذجه في الحروب الصليبيّة و في الحربين العالميّتين، حيث سوّدت فظائعهم و قسوتهم و عنفهم صفحات تاريخ المسيحيّة.

انتقادِ ولِ ديورانت لقانون الإنجيل لعدم فرض القصاص

يقول ولِ ديورانت: لم يدعُ الإسلام إلى مقابلة الإساءة

بالإحسان، {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ

مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} ^١

{وَلِمَنْ اِنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ

سَبِيلٍ} ^٢ تلك أخلاق تليق بالرجال، شبيهة بما جاء في

العهد القديم، فهي تؤكد فضائل الرجولة كما تؤكد

المسيحية فضائل الأنوثة، وليس في التأريخ دين غير دين

الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء، ولم

يفلح في هذه الدعوة دين آخر بقدر ما أفلح فيها الإسلام.

و يُسْتَشَمُّ من تعبير ديورانت بأنوثة أخلاقية تعاليم

الإنجيل رائحة انتقاده لها، و عزى ذلك إلى الضعف و

القوى الانفعالية، على العكس من الإسلام الذي تصدر

قوانينه ناشئة من القوّة و الموقف الراسخ، و قوى الفعل.

^١ ذيل الآية ١٩٤، من السورة ٢: البقرة.

^٢ الآيتان ٤٠ و ٤١، من السورة ٤٢: الشوري.

إنّ عدم تطبيق الحدود و فقدان قانون القصاص عند أتباع الكنيسة في شريعة الإنجيل الفعلية قد أدّى إلى شيوع الفحشاء و المنكرات و العلاقات المنحرفة بينهم أكثر من شيوعها بين اليهود والأمم الأخرى؛ و لقد كشف شاعر ظريف عن معنى عميق في هذا الشأن و في أمثاله بأبياتٍ أنشدها بأسلوب الملحّة و الطريفة، قال:

أجل، فتماسك المجتمع الإنسانيّ، و قوام الحضارة البشريّة، و الوصول إلى معارج الحياة إنّما هو في فرض حكم القصاص الذي يردع الناس خوفاً و حذراً عن ارتكاب الجريمة، ممّا يؤدّي إلى امتناع تحقّق هذا الحكم عملياً في الخارج، أمّا إذا ما ارتكبت جريمة ما، و وجد لهذا الحكم مصداق يجعله يتحقّق فعلاً، فإنّ حكم القصاص

سيمنح - على آية حال - المجتمع حياةً و قدرة و يهبه عزّة
و استقلالاً سهل المنال.^١

[ملاحظة: إن هذا المقال هو عبارة عن بحث
منتخب من كتاب نور ملكوت القرآن لمؤلفه سماحة
المرحوم العلامة آية الله الحاج السيد محمد حسين
الحسيني الطهراني رضوان الله عليه فنصح من أراد
الازدياد بقراءة الكتاب المذكور]

^١ يقول: «وإذا ما صفعك علي الخدّ الأيمن فأدر الأيسر، أو الأيسر فأدر الأيمن.
انهض إذ ذاك بدرّ بشعرٍ كالعنبر، و افتّر عن شفاهٍ كالعقيق الأحمر. و قال: أختصّ
حُكمكم بصفع الخدود؟ أم يجري كذاك علي تقيلها؟».